

أثر الطاعون الأسود على الوضع الديموغرافي والاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي (مقاربة تاريخية 1348/749م)

The effect of the Black Plague on the demographic and economic
situation in the countries of the Islamic Maghreb
(Historical approach 749 AH/1348 AD)

بقرار منير

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة (الجزائر)، Bekrarmounir31@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/10/30

تاريخ القبول: 2020/08/31

تاريخ الاستلام: 2020/05/30

ملخص:

تُعنى هذه الدراسة بالبحث في موضوع الطاعون الأسود الذي اجتاح العالم المتوسطي وبلاد المغرب الإسلامي خلال منتصف المائة الثامنة للهجرة- 14م، مخلفا تحولات عميقة لم يتوقف خلالها عند الجوانب الديموغرافية ذات الصلة بحجم الخسائر البشرية فحسب، بل تجاوزها ليلقي بظلال من العواقب الخطيرة على البنى الإنتاجية، تفاوتت فيها مستويات التأثير على النشاط الزراعي والحياة الحرفية والصناعية وحركة التجارة المتوسطية والصحراوية بنسب متقاربة، وكشفت عن مدى تراجع اقتصاد المجتمعات المغاربية خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري بتعرض القاعدة البشرية التي يبني عليها الانتاج إلى نزيف ديموغرافي حاد، انعكس من جهة أخرى هذا الانحدار السكاني على الملمح الثقافي من خلال نتائجها التي تراوحت بين غلق المؤسسات التعليمية ووفاة طلبة العلم والنخب العاملة، فضلا عن هجرة غير المتضررين منهم وفرارهم من الجائحة الطاعونية نحو مناطق غير موبوءة، ما أسهم في تذبذب الحركة العلمية بالمغرب الإسلامي.

كلمات مفتاحية: الطاعون الأسود- الآثار- الديموغرافيا - الاقتصاد - المغرب الإسلامي.

Abstract:

This study is concerned with researching the topic of black plague that invaded the Mediterranean world and the countries of the Islamic Maghreb during the mid-eighth century of migration - 14 A.D., leaving profound transformations that not only stop at demographic aspects related to the size of human losses, but exceed them to cast serious consequences on the productive structures, The levels of influence on agricultural activity, crafts and industrial life, and the Mediterranean and desert trade movement varied in close proportions, and revealed the extent of the decline of the economy of the Maghreb societies during the second half of the eighth century AH, due to the exposure of the human base upon which they are based. Crown to drain a demographic sharp, reflected on the other hand, the decline of population on the cultural Salted through its results, which ranged from the death of science students or elites scientist, as well as their migration and fleeing the pandemic pestis towards non-endemic areas, which contributed to the volatility of the scientific movement in the Islamic Maghreb.

Key words: Black Plague - Results - Demography - Economy - Islamic Maghre.

مقدمة:

اتخذت الأوبئة والجوائح الطاعونية ببلاد المغرب في العصر الوسيط المتأخر شكلا دوريا تكاد تتقارب في فترة معاودتها بوتيرة اتسمت بالاستمرارية والطرديّة، لكنها لم تؤثر على البنية الديموغرافية بالقدر الذي خلفته الموجة العنيفة المعروفة في الأدبيات الوسيطة بالطاعون الأسود، حيث شهد المغرب الإسلامي في منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي أخطر أزمة صحية في تاريخه، كانت فادحة العواقب والنتائج، وخيمة آثارها التي طالت مختلف الجوانب الديموغرافية والاقتصادية والثقافية، ضرب فيها الطاعون المغرب بقوة متفشيا عبر مجالات واسعة، لم يستثن المدن والأرياف ولم يُفَرِّق بين العامة والخاصة، فألحق بها أضرارا كبيرة، واتضح تأثيره على الفترة فبصمها بتحوّلات عميقة عجزت الدول القائمة على استيعابها، بالرغم من الحراك الديني والسياسي والاجتماعي الرامي إلى تجاوز مخاطرها.

ومن قبيل هذا الطرح، تهتم هذه الورقة العلمية بمسألة النصوص الإخبارية بتعدد مظاهرها لتحاول الإجابة على إشكالية تتعلق بالآثار الديموغرافية والاقتصادية لجائحة الطاعون الأسود (749هـ/1348م) على سكان بلاد المغرب الإسلامي، ولفهم جوانب الإشكالية أكثر وتجلية مواطن الغموض فيها، كان من الضروري أن نطرح تساؤلات فرعية فضلناها أن تكون مندرجة ضمن العناصر التالية:

- ما المقصود بمصطلحي الوباء والطاعون وما الفرق بينهما من منظور طبي وفقهي؟
- ماهي أنواع الطواعين وماهي صنوفها؟ وهل لكل صنف منها أعراض ومؤشرات سريرية؟
- أين حُدِّدت بؤرة الطاعون الأسود؟ وكيف انتقل إلى الحوض المتوسطي؟ وما هو المسار الذي سلكه باتجاه المغرب؟
- ماهي أهم مظاهر النزيف الديموغرافي؟ وماهي ملامح التراجع الاقتصادي التي خلفتها الجائحة الطاعونية على سكان المغرب؟

1..الوباء والطاعون/ إشكالية المصطلح في التراث الإسلامي:

1.1..الوباء:

المدلول اللغوي:

وَرَدَ لَفْظُ الْوَبَاءِ لِيُذَلَّ عَلَى الْمَرَضِ الْعَامِ، وَمِنْهُ الْوَبَاءُ الَّذِي قَابَلَ دَلَالِيًا مُفْرَدَةً الطَّاعُونَ، وَجَمْعُ الْمَمْدُودِ أَوْبِيَّةٌ وَ الْمَقْصُورِ أَوْبَاءٌ (ابن منظور، 2008، ص.141)، وَضَمَّنَهُ الْجَوْهَرِيُّ (1987) فِي

الصِّحَاحِ بِمَعْنَى الْقَرْفِ الدَّالِ عَلَى الْمَوْتِ وَهُوَ الْمَرَضُ الْعَامُّ، وَقِيلَ وَبِنْتِ الْأَرْضِ أَيَّ أَنْهَا مَوْبُوءَةٌ فِيهَا
كَثِيرَةٌ الْمَرَضِ. (ص. 1416)

المدلول الاصطلاحي:

من منظور إسلامي عكست التراثيات الإسلامية كالتوازل والفتاوى، التاريخ العام، التراجم، والطبقات، أدب المناقب، الرحلات والجغرافيا، البرامج والأثبات، عند مناقشة المجال النظري لمصطلح البواء والطاعون جدلية التداخل الدلالي ومشكلة التحديد الاصطلاحي، ولا ريب أن نسلم بأنّ الكتابات الإخبارية، الدينية - فقه، حسبة- والجغرافية قد تعاطت مع المصطلحين دون الفصل بينهما، ما أفضى إلى تعقيدات علمية مفاهيمية، يمكن أن نعزوها إلى طبيعة الموضوعات التاريخية والدينية والجغرافية البحتة التي طرفتها هاته المصنفات، والتي تميزت بالعمومية دون التعمق في المجال الطبي، فضلا عن إيرادها للمصطلحين بصفة عفوية مراعاة لنسق النص وسياقه العام، فمن خلال إطلالة مسحية على الموروث الإسلامي للمغرب الأوسط كما سنبرزه في مواطن لاحقة تأكد الطرح السابق الذي مؤداه أنّ الرصد الدلالي الدقيق للمفهومين صعب للغاية، ولا يتأتى إلا بمراجعة المؤلفات الطبيّة وسبر غورها في ظل غياب طريقة علمية تدمج ذلك التداخل والخلط بين المصطلحين- حتى وإن ورد عفويا-

لقد تبين مما سبق أنّ المجاميع اللغوية لم تفصل نظريًا بين مصطلح البواء والطاعون، وبالرغم من تعارض الخطاب الديني والتاريخي مع الخطاب الطبي في دقّة البعد الوظيفي للمصطلح، فقد ظل تقليدا سائدا نعتُ المرض العام بمصطلحات: البواء، البواء العام، الطاعون، الطاعون العام، الموتان .

وعلى ضوء هذه السياقات الاصطلاحية نخلص إلى مقارنة أولية مؤداه أن: البواء هو... المرض الوافد العام الشامل» (ابن هيدور، و. 1 ظ) الذي يعتبر أعم من الطاعون (الرصاع، 2007، ص. 107)، والأخير أخص منه بحيث تظهر أعراض البواء على الإنسان كالحميات العفنة والجذري والطواعين (ابن حجر، 1990، ص. 104)، وعادة ما تكثر في البلاد الوبيئة (ابن خلدون، 1988، ص. 205)

كما لا يمكن الحديث عن ارتسام الملمح العام لمفهومات البواء إلا أنّ ربطه بمسبباته سيعزز مضامينه وإيحاءاته، وهو على رأي لسان الدين بن الخطيب يرجع إلى سببين رئيسيين: الحركة

الفلكية للكواكب والنجوم وتأثيرها على العالم وهو تفسير صوغه المنجمون، و العامل الثاني متصل بتلوث الهواء وفساده، في المقابل شغل هذا العامل الأخير الذي استعرضته المتون الطبية تركيز الأطباء في غالبيتهم انطلاقاً من كتب أبقراط وجالينوس مروراً بالمعرفة الطبية بالمشرق الإسلامي ووقفاً عند المغاربة و الأندلسيين (ابن الجزار، 2009، ص.49) حيث أنّ الرأي الذي لاقى وفاقاً علمياً وطبياً يقول بأن الوباء سببه الهواء وذلك ناجم عن اضطراب الناس لاستنشاقه، ويؤيده عامل ثان مرتبط بالنظام الغذائي وأزمة الفساد التي تصيبه (ابن هيدور، د.ت، و.2).

2.1.. الطاعون:

المدلول اللغوي:

ورد في لسان العرب على أنه الطَّاعون، دَاءٌ معروف و الجمع طَوَاعِينٌ، وَطَعَنَ الرَّجُلُ فَهُوَ مَطْعُونٌ وَطَعِينٌ أَي أَصَابَهُ الطَّاعُونُ (ابن منظور، 1990، ص.122)، وجاء اشتقاقه في أساس البلاغة من الطعن وجمع في كلمة طواعين، وهي رماح الجن (الزمخشري، 1998، ص.122)، ويطلق على المرض العام والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد به الأمزجة (ابن منظور، 1990، ص.122) كما دَلَّ في القاموس المحيط، على معان منها الدبلُّ و الزقمة (الفيروزآبادي، 2005، ص.9)

المدلول الاصطلاحي:

أدى الظهور الدوري والإطِّرادِي لمرض الطَّاعون إلى وضع تخريجات دينية تتصل بالطَّاعون كظاهرة مرضية طارئة وكمضمون دلالي تعتريه صعوبات تأصيلية شرعية، لاسيما بعد أن أُلْفِيَ ممثلو المنظور الديني أنفسهم أمام حتمية التعامل مع الخطاب السني الشريف إزاء هذا المرض – الطاعون، وذلك بغرض بناء منظومة فقهية تتحكم في السلوك العام زمن تفشي الطَّاعون وهو ما ضمنه ابن حجر العسقلاني (1990)، ليساهم من زاوية أخرى موضوع الطَّاعون في إثراء الرصيد العلمي التصنيفي (ص.29)

ويُعرف محمد الرِّصاع (2007) الطَّاعون بأنه حُمَّة خبيثة دائمة عن سوء مزاج قلبي ينتج عن سبب علمي طبي قام بتشخيصه تجريبياً مفاده فساد الهواء و الغذاء وسبب ديني مرجعيته الأحاديث النبوية (ص.106) وهو «وخز الجان»، (ابن حنبل، 2001، ص.293) كما تكثر الطواعين زمن انتشار الأوبئة وتعد من أهم الحقول الخصبة المساعدة على انتشارها واستفحالها (ابن سينا، د.ت، ص.165)

ومنه أن الطواعين نوع من الأمراض التي تبرز عند حدوث الأوبئة، وتعليلها ممكن انطلاقا مما قدّمه لسان الدين بن الخطيب في أعراض الوباء التي قد تظهر في شكل خراج من جنس الطواعين (و.2ظ)، أو في صورة دماميل وأورام (ابن زهر، 1983، ص.327) تُعم الناس، ومن جهة أخرى حظي موضوع الطاعون عند ابن حجر (1998) بأهمية واضحة كمحاولة منه للكشف عن العلائقية المتشابكة بينه وبين الوباء (ص.95)، خصوصا بعد عرضه لطروح توفيقية تنفي التمثيل بين الدين وعلم الطب حاز خلالها ثناء بعض الدراسات (أبو جرة، 2011، ص.457) فكل ما يطرأ على جسم الإنسان من تغيرات كظهور الأورام و القروح أعراض لمرض الطاعون، وسمي تعميما بالوباء لنتائج الوفيات التي يخلفها، كما أنّ انحسار الطاعون في فئات اجتماعية معينة يجعله يختلف عن الوباء المتميز بشمولية البناء الاجتماعي، فضلا عن عموميته للوسط الحيواني والبيئي معا، ويستشري الطاعون في الجهاز البيولوجي للإنسان ليقتصر على أعضاء معينة دون أخرى

ما نستنتجه أنّ الطاعون: مرض وبائي يصيب الجماعات الإنسانية وفق نسق دوري " ويلحق أضرار فادحة بالمستويات الاجتماعية- ديموغرافيا - والاقتصادية، ولئن اتجهت الكتابة حول الموضوع بإلحاح عوامل شرعية وأخرى طبية احترازية فجدير بنا أن ننوه إلى صعوبة التنبؤ المطلق لمصطلح " الطاعون " دون ملامسة آراء الاتجاهات العلمية الحديثة، وليس من السهولة الفصل بين الوباء والطاعون المتعامل معهما اصطلاحيا رغم تخصيص مصنفات طبية مغاربية على وجه الخصوص حيز كبير للموضوع، من زاوية الاصطلاح والبحث في السببية، وتنميط الطرق الاحترازية من العدوى والتداعيات العامّة، ووافقها - ووافقها - ولو نسبيا - في تشخيص الوباء والطاعون إلا أنها وقعت في كمين الخلط بصورة تبدو غير مفتعلة، ولذلك فحضور المصطلحين الوباء والطاعون بصيغ مختلفة (الموتان، الوباء العام، الطاعون العام، المرض الهائل، المرض الوافد) في الموروث الإسلامي المغربي على وجه الخصوص يطرح الرمزية المصطلحية ذات البعد المأساوي والكارثي لهذا المرض، ليتشابك مع البعد الوظيفي له، من خلال استيراد كم مصطلحي متشعب .

2..الوباء والطاعون حسب الرؤية السوسيوولوجية :

قبل الخوض في الحديث عن الحقل الاصطلاحي للمرض، الوباء و الطاعون، نشير إلى أن المدرسة الاجتماعية والأنثروبولوجية الحديثة قد صرفت عنايتها إلى دراسة كل الظواهر الاجتماعية

(الجابري، 1994، ص.105. الجوهري، 2007، ص.18) وإن كانت متقاطعة مع المجال البيولوجي، وفي خضم النقص الذي حازت كامل المقاربة العلمية للمرض، الوباء، والطاعون وفق المدرسة الطبية للعصر الوسيط من المنظور الإسلامي استهدفت المدرسة السوسولوجية الحديثة الكم المصطلحي من زوايا أكثر دقة وموضوعية، نركز عليها في وضع الحزام المصطلحي للعينات الدلالية التالية:

1.2..الوباء:

اهتم المتخصصون في الأمراض الوبائية بمصطلح الوباء ودلالاته، ونظرا لما يحمله من أهمية محورية فقد عكفت الدراسات المعاصرة على طرق الموضوع، ولم تتوان عن الإحاطة بمجمل جوانبه، خصوصا بعد تأسيس علم جديد يعرف «بعلم الوبائيات (Hulot, 2011, p.28)» يستهدف هذه الأخيرة بالدراسة المستفيضة كظاهرة مرضية.

فالوباء حسب علم الوبائيات: «هو ظهور عدد من حالات المرض في مجتمع أو إقليم على نطاق واسع أكثر من المعتاد، أو على نحو غير متوقع بالقياس إلى الزمان والمكان المفترضين» (بيغلهول، د.ت، ص.119)، وعادة ما يرتفع مؤشر الوفيات عند وقوع الوباء وتتردى الأوضاع الاجتماعية والحياتية فتكثر الحركات السكانية والنزوح نحو المناطق غير الموبوءة (الدقدوقي، 2007، ص.77)، ويسري عجز زمن انتشار الأوبئة في عدم القدرة على احتوائها والحد من انتشارها إلا عبر الاحتياطات والتدابير الوقائية فالتشبهت بالوقاية واتباع أساليب النظافة أكثر جدية من شأنه أن يضع حداً لانتشار الوباء وذلك وفق طرق مباشرة كالتنفس والاحتكاك وشرب الماء، وأخرى غير مباشرة كالأدوات الملوثة والبعوض و الذباب (موسوعة الأمراض الوبائية، 1998، د.ت، ص.22)، وبما أنّ الوباء سريع الانتشار والتوزع فقد شكّلت أمراضه خطرا كبيرا على المجتمعات، نذكر على وجه الخصوص منها الأمراض المعدية مثل الجدام، والجذري، والجرب، والحمى الوبائية التي حازت لنفسها مقعدا ضمن المادة الطبية لابن سينا (عروة، د.ت، ص.22)

2.2..الطاعون:

هو مرض مُعدٍ يُصيب الفئران والقوارض، وينتقل إلى الإنسان عبر الحشرات (الكاديكي، د.ت، ص.116)، خصوصا البراغيث التي تتغذى على دماء عوائل أخرى غير عوائلها الأصلية، وبذلك يمكن أن نجد على الإنسان برغوث الفئران والققط والكلاب (واتس، 2010، ص.72)، المؤدي إلى تكاثر

الجرثومة المسببة للطاعون، والتي اكتسبت اسم اليرسينية نسبة إلى الباحث ألكسندر يارسين (الدقوقي، 2007، ص.264)

اليرسينية بستس هي: عصيات صغيرة وقصيرة ذات أطراف مستديرة اكتشفها الباحث يارسين سنة 1894م (أبو جرة، 2011، ص.471)، تعيش وتتكاثر عادة في أجسام القوارض البرية التي تُعدُّ خزانات طبيعية للجرثومة (خياطي، 2013، ص.20)، وعلى اعتبار أنّها الناقل الفعلي للطاعون، فإنَّ مميزات اليرسينية بستس تتجلى فيما يلي:

- إفراز الزيفان الداخلي المؤلف من الدهون والسكريات.
- بكتيريا مغلقة بغلاف يحوي على مستضديات.
- القدرة على امتصاص الحديد.
- الاحتواء على خميرات خاصّة (الدقوقي، 2011، ص.266)

هذا ويُقسّم الباحثون الطّاعونَ إلى عدّة أصنافٍ من أبرزها: الدملي، الرئوي، والإنثاني (واتس، 2010، ص.73، الدقوقي، 2007، ص.275)، ولما كان خطبنا في هذه المعالجة هو إبراز الأنواع الهامة منها، فقد أترنا ضبط ذلك في الجدولة التالية:

جدول 1:

أصناف الطاعون

أعراضه وإشاراته السريرية	نوع الطّاعون	
	اللغة الأجنبية	اللغة العربية
خروج أورام على مستوى الغدد اللمفاوية كالفخذين والإبطيين أو على الرقبة تحت الأذن.	Peste bubonique	الطّاعون الدملي
كثرة السعال والبراق وصعوبة في عملية التنفس، إلى جانب نفث الدم .	Peste pneumonique	الطّاعون الرئوي
ارتفاع في حرارة الجسم وهبوط في ضغط الدّم مع جفاف حاد في الجسم.	Peste septicémique	الطّاعون الإنثاني

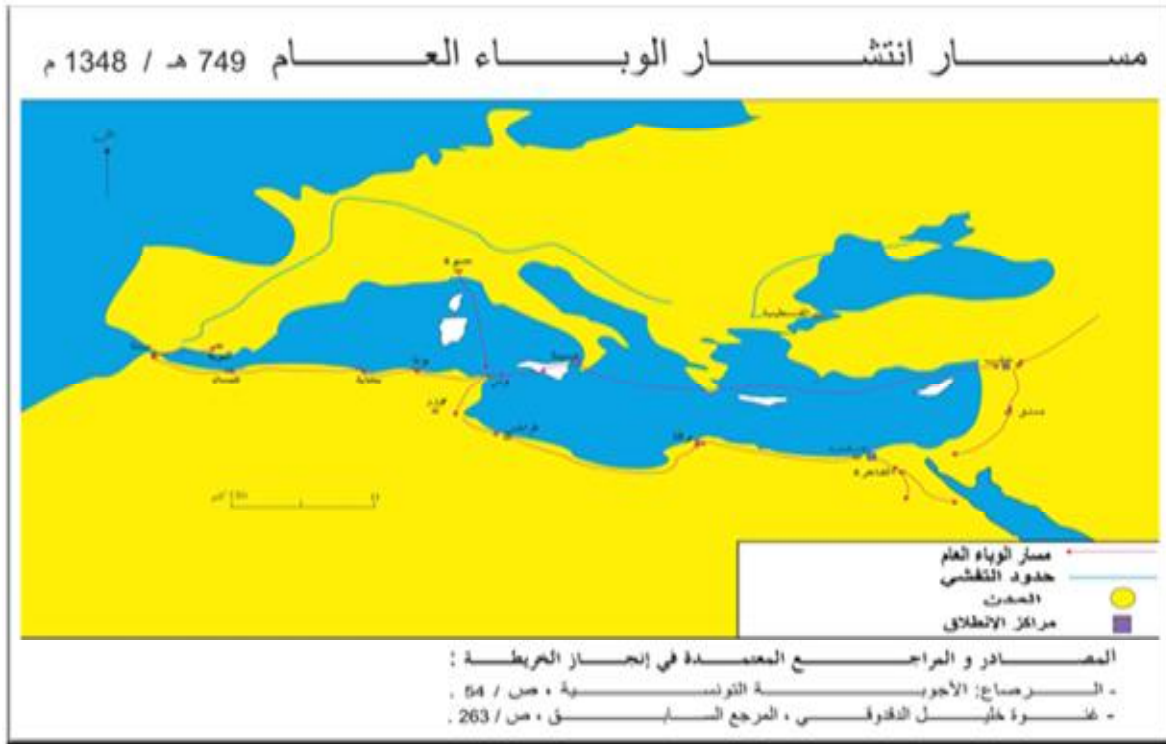
المصدر: بتصرف

وفي الأخير يمكن القول أنّ هنالك نقلة نوعية أحدثتها الدّراسات الطبية الحديثة، تقف في مقدمتها دراسة ألكسندر يارسين الذي يعود إليه الفضل في اكتشاف الجرثومة المسببة للطاعون (Yersinia Pestis)

3..انتشار الطاعون الأسود في الحوض المتوسطي(747هـ/1346م):

تعددت قنوات انتشار الأوبئة منذ الفترة القديمة، وحتى إلى زمن العصر الوسيط المتأخر، وارتبطت أكثر بحركية المجموعات السكانية كالمهاجرين والحجاج والجيوش والتجار(حسن، 1999، ص.605)، وللعامل التجاري دور رئيسي في انتشار الطاعون الأسود الذي اكتسح بلدان الحوض المتوسطي خلال منتصف القرن الثامن الهجري- الرابع عشر الميلادي، فالسفن التجارية المتوسطية التي كانت تتردد على الموانئ الآسيوية، كانت وراء اجتياح الطاعون للقارة الأوروبية وبلدان العالم الإسلامي، ومنها بلاد المغرب، وتكاد توافق جغرافية مساره شبكة المواصلات التجارية وقتئذ، ويمكن رؤية ذلك بإيضاح حركة انتشاره وانتقاله إلى بلاد المغرب الإسلامي من خلال التمثيل الخرائطي التالي:

شكل 1:



التعليق والتحليل:

الملاحظ من البيانات الموزعة على الخريطة أنّ الوباء العام قد تدفّق من بلاد الصين تحديداً من حول بحيرة بالكاش شمال منغوليا، ثم نظير تجاوب حركيته مع ظروف ملائمة لتفشيهِ كالدَّورة التجارية، توافد على القسطنطينية عبر بحر قزوين (حسن، 1999، ص.605)، ليحط رحاله متفشيًا

في نطاقات بحرية واسعة كموانئ المدن الإيطالية، فظهر بمدينة مسينا سنة (747هـ / 1346م)، لينتقل إلى نابولي وبيزا وجنوة ومرسيليا فالبنديقية ومصر (واتس، 2010، ص.65)، ثم تسرب نحو المغرب الأوسط بسبب تدفقات سفن التجارة الخارجية على الموانئ الساحلية، أمّا على الصّعيد الداخلي فنعتبر مسار قوافل الحجيج الموسمية (فاليريون، 1998، ص.312) تنضاف إليها حلقة التّجارة في الواجهة البرية التلية والصحراوية ومسير الحملات العسكرية نتيجة الاضطراب الأمني في مجال المغرب (بلعربي، 2009، ص.23)، من بين العوامل المشكّلة للقنوات الرئيسة التي انتقل من خلالها الطّاعون الجارف إلى المغرب الإسلامي .

هذا ومن الصّفات المظهرية الناتجة عن الطّاعون الرئوي- الجارف- الحمى الخبيثة وانحسار العرق في أعضاء من البدن دون مثيلاتها من جوانب بيولوجية أخرى(خلفات، 2011، ص.429، أبو جرة، 2011، ص.458)، ويعدّ نفث الدّم والذبيحة التي تصيب الإنسان من بين أهم الأعراض المرضية للطاعون الأسود (ابن خاتمة، د.ت، 13.و.)، كما يحيل الإنسان على حالات مرضية غير مرغوبة، وبخاصة السعال وسواد اللسان وبزوغ الأورام الملمة بالحلق(مزدور، 2009، ص.23)، ولعلّ هذه المتغيرات تلقي بأشعة الضوء على مدى تأثير الوباء العام على البنيات البيولوجية لمجتمعات العصر الوسيط، لاسيما وأنّه لا يخضع لموازنة جغرافية فقد عصفت بدول العالم وقتئذ دون تمايز مجالي ولا تفضيل عنصري، ولا أدلّ على ذلك التصميم الخرائطي السابق.

وعليه، وبعد محطات جغرافية برا وبحرا تعرض المغرب الإسلامي إلى فاشية الطاعون الجارف(بلعربي خالد، 2009، ص.23)، وما كاد الوباء يحط رحاله بمجاله، حتى شهد المجتمع نزيفا ديموغرافيا ألقى بفيض من العواقب الخطيرة على مظاهر الحياة الاقتصادية والثقافية (الرصاع، 2007، ص.51)، وبالرغم من أنّّه طوى البساط بما عليه لينهض شاهدا قول ابن خلدون(1998) على حجم الفاجعة إلا أنّ التكهّن أو تخليق- إن لم نقل التحدث بجدة - النتائج الديموغرافية الوخيمة التي حاقت ببوادي ومدن المغرب الأوسط يعدّ أمرا صعبا، لافتقارنا إلى المادة الوثائقية ذات الصلة بموضوع الآفات الطبيعية في الحوليات التاريخية (ص.42)

4..الطاعون الأسود والانحدار السكاني :

الثابت على المستوى الديموغرافي هو ندرة المؤشرات الإحصائية لعدد ضحايا الطاعون الأسود في المصادر المغاربية، بالإضافة إلى غياب الوثائق والسجلات المرتبطة بحجم الخسائر

البشرية، وطغيان الآراء الانطباعية والوصفية على النصوص الإخبارية، لذلك لا يمكن إعطاء أحكام مطلقة، بل يقتضي الأمر من الباحث توظيف منهج المقاربة في تحديد انعكاسات وآثار الجائحة ديموغرافيا على السكان.

ولنا أن تصور المشهد الكارثي للطاعون الأسود الذي ضرب بلاد المغرب من خلال أسمائه الواردة في المصادر، فقد نُعت "بالطاعون الجارف" و"المرض العام" و"الطاعون الأعظم" و"المرض الوافد" و"الوباء العام"، وهذه الأسماء خير دليل على خطورة جائحة الطاعون الأسود وقوة انتشارها، والتي أدت إلى هزات حقيقية في البنية السكانية، فالكارثة لا تميز بين طفل ورجل، ولا بين رجل وامرأة ولا بين فقير وغني، وكانت تفتك بالعناصر الاجتماعية من كل الفئات والأعمار، حيث فقدت تونس وتلمسان وفاس الآلاف من الضحايا في كل يوم، وبالرغم من أنها أرقام مضخمة ومطلقة، حسب أحد الباحثين (مزدور، 2009، ص.241)، لكنها تعكس فداحة الهدر الديموغرافي الذي خلفه الطاعون الأسود (رحو، 2012، ص.31)، وقد عاصره ابن خلدون (1998)، ووصفه وصفا دقيقا يؤكد فيه هول الكارثة بقوله: «نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة، من الطاعون الجارف، الذي تحيف الأمم، وذهب بأهل للجيل وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاهها» (ص.42)

وقد كان الوباء يضرب بلاد المغرب بشكل دوري كل عشر سنوات أو خمسة عشرة أو خمسة وعشرون سنة (الوزان، 1983، ص.85)، غير أنه ومع أول ظهور للطاعون الأسود في منتصف المائة الثامنة للهجرة، حتى بدت عواقبه وخيمة جليلة شملت جميع مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وكان لهذا المعطى فاعلية في تطور الذهنيات والتحويلات الديموغرافية العميقة التي شهدتها العالم عامة، وبلاد المغرب على وجه الخصوص (الرصاع، 2007، ص.61)، ومما لا شك فيه أن نتائج الطاعون كانت على المدى البعيد أشد فداحة، فقد أخذ تعداد السكان يتهاوى بمعدل ثابت على مدى قرن بعد عام 749هـ/1348م، بحيث أضحي ذلك التهاوي ملمحا بارزا من ملامح القرنين الرابع عشر والخامس عشر (واتس، 2010، ص.23)

كان المشهد المأساوي الذي أصاب الأسر والأفراد نتيجة الطاعون الأسود الذي اجتاح الأرياف والمدن، قد شمل البلاد التونسية والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى (مزدور، 2009، ص.23)، فقد لقي والدي ابن خلدون حتفهما فيه (مزدور، 2009، ص.23) وتوفيت والدته ابن بطوطة (ابن بطوطة، 1996، ص.192) وهلك بسببه أولاد يوسف بن يحيى بن يوسف حفيد التفريسي (ابن

مرزوق، 2008، ص.187) وعمّ الخطب الجلل المدن والأرياف بدرجات متفاوتة، وكانت له نتائج وخيمة على عدة مستويات ديموغرافية منها الزواج والولادة، وانتقال السكان من المجالات الأقل تضررا بالبوء كالجبال والواحات إلى المدن (الرصاص، 2007، ص.63) بينما كانت الهجمات البائية لاسيما الحادة منها والشاملة كالطاعون الأسود تفضي في المقابل إلى الموت الجماعي، وتنامي ظاهرة الخلاء النسبي أو حتى شبه المطلق لبعض الأرياف والمناطق (بوجرة، 2009، ص.168) ومن الأدلة على ذلك نازلة سئل فيها أبو الفضل العقباني (ت854هـ/1450م) (2009) عن «...أرض فنى أهلها بالبوء الكائن عام تسعة وأربعين وسبعمائة...» (ص.15)

وإذا كانت المصادر المغاربية لا تتوفر على أرقام إحصائية -ولو تقديرية- لعدد السكان، فإن عملية البحث تزداد صعوبة عندما يتعلق الأمر بحجم الخسائر الديموغرافية التي حصدتها الجائحة الطاعونية، ذلك أنّ المعطيات الإحصائية غائبة بصورة شبه كلية، ما يحيل إلى «الاعتماد على المصادر الأندلسية والمشرقية باعتبار الطاعون كان وباء عالميا» (بلعربي، 2009، ص.24)، وفي مقدمة هذه المصادر رسالة ابن خاتمة المري (ت770هـ/1369م) التي تضمنت مؤشرات رقمية عن عدد القتلى ومستوى النزيف الديموغرافي في بعض المدن الساحلية ببلاد الغرب الإسلامي (ابن خاتمة، 2013، ص.143)، وفي إطار إخضاعها لمنهج المقارنة يمكن إدراج هذه المعطيات الإحصائية في الجدول التالي:

جدول 2:

عدد ضحايا الطاعون الأسود في بعض المدن الساحلية ببلاد الغرب الإسلامي في اليوم الواحد

ميورقة	بلنسية	تلمسان	تونس
1252 وفاة	1500 وفاة	700 وفاة	1202 وفاة

المصدر: بتصرف

ألاحظ من خلال الجدول ما يلي:

ضخامة حصيلة الوفيات وتفاوتها بالمدن الساحلية للغرب الإسلامي خلال أزمة الطاعون الجارف، ليتضح أنّ الانعكاسات الديموغرافية وارتفاع معدلات الوفيات في هذه الفترة بلغت مستويات عالية بالمقارنة مع الحالات المرضية السارية بصورة اعتيادية في المجتمع، ولا ريب أنّ اكتساح موجة الطاعون الأسود للمدن والبوادي في المغرب الأوسط قد كبد كثافتها السكانية خسائر كبيرة من الضحايا (حسن، 2009، ص.612) لاسيما وأنه من النوع الرئوي الذي يتفشى

بسرعة فائقة (الكاديكي، د.ت، ص.208) ويتخذ من الهواء قنوية لانتشاره (ابن الجزار، 2009، ص.47)، وهو ما يُقَارِبُ في احتمالية تعرض البنى الاجتماعية لكارثة الأوبئة دونما فروق تراتبية ولا جغرافية، فالملاحظ أن المراكز السكنية قد أصبحت خالية وسار نطاق البوادي في نسق ديناميكية الاندثار (حسن، 2009، ص.612)، ويشهد لوجاهة انتقال الجائحة إلى الأرياف حركة التجارة الدائبة بين المدينة والبادية كحواف تابعة لها(جدلة، 2010، ص.85)

5..الطاعون الأسود والنخب العاملة: أي مصير...؟

لقد كان لموجة الطاعون الأسود التي اكتسحت بلاد المغرب تداعيات خطيرة على الجانب الديموغرافي، ذلك أنها أسفرت عن ارتفاع معدلات الوفيات بين شرائح التركيبة السكانية دونما تفريق بين العناصر المكونة لها، وأشار ابن تغري بردي(ت874 هـ/1469م)، إلى شمولية الطاعون لمختلف عناصر التشكيلة الاجتماعية بقوله:«ولم يكن هذا الوباء كما عهد في إقليم دون إقليم، بل عمّ أقاليم الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا جميع أجناس بني آدم وغيرهم، حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البر» (ص.195) يؤكّد هذا النص بأنّ جائحة الطاعون الأسود لم تستثن العامة والخاصة أو الكبار والصغار، فقد طالت عناصر النسيج الاجتماعي باختلاف مواقعهم، ومنها كذلك النخب العاملة التي حصدت منها عددا كبيرا، مُخلفة بذلك شللا على مستوى الحياة الثقافية والحركة العلمية بالمراكز الحضرية الكبرى .

وفي الحقيقة يجب التطرق إلى الصورة الديموغرافية المرعبة التي خلفتها الأمراض والأوبئة على النخبة العاملة بالمغرب الإسلامي، فعلى ضوء نظرة فاحصة في سياق بحثنا عن الصنوف المرضية بين الحقول المصدرية توصلنا من خلال معطياتها إلى أنّ معظم وفيات العلماء تقريبا ارتبطت بالمرض عِلِّيًّا، سواء أكان الأمر متعلقا بالأمراض العادية التي تطال الناس في حياتهم اليومية أو الأوبئة في إطارها العام، ولعلّ الوباء كان أشد وطأة على شريحة العلماء والفقهاء لاسيما الطاعون الجارف، فقد عدّ من بين أخطر الكوارث الطبيعية التي حاقت بالنخبة العاملة خلال المائة الثامنة وأردى العديد منهم موتى، ويقوم دليلا على ذلك ما أقرّه ابن خلدون (2004) بقوله: «لم أزل منذ نشأت، وناهزت مُكبا على تحصيل العلم، حريصا على اقتناء الفضائل متنقلا بين دروس العلم وحلقاته، إلى أن كان الطاعون الجارف وذهب بالأعيان والصدور، وجميع المشيخة وهلك أبواي رحمهما الله » (ص.65)

ويتجلى حصاد الأوبئة للنخب العلمية بالمغرب الأوسط في العديد من الوفيات التي قضت نحبها عقب الطاعون المذكور (1348هـ/749م) من جملتهم أبو عبد الله بن محمد بن عبد النور الندرومي (الونشريسي، 1983، ص.24)، وأبو موسى بن عيسى بن الإمام الذي رافق أبي الحسن المريني في حملته من المغرب الأقصى إلى إفريقية (التنكي، 1989، ص.247)، وحسن بن علي بن الخطيب القسنطيني (ابن قنفذ، د.ت، ص.355)، الذي رغم تأليفه كتابًا موسومًا بـ«المسنون في أحكام الطاعون» منطلقًا من تأثير الوباء واختلاف طلبته في ذلك، إلا أنه لم ينج من الطاعون الجارف، وتوفي في زمن انتشاره أيضًا بإفريقية عبد المهين بن محمد بن علي بن محمد السبتي الحضرمي (ابن الخطيب، 2003، ص.9)، والقاضي محمد بن عبد السلام الهواري قاضي تونس، وكذلك مفتيها أبو عبد الله محمد بن هارون (ابن الشماع، 1984، ص.98)، وتبقى هذه الحالات مجرد عينات طرحناها كأمثلة من سلسلة الوفيات التي طالت النخبة العاملة بالمغرب الإسلامي.

وبالرغم من ذكر النصوص الاخبارية للعلماء المشهورين الذين توفوا بسبب الجائحة، غير أن نصوصا أخرى أشارت إلى وفاة جملة من العلماء والصلحاء دون تحديد أسمائهم واكتفت فقط بالحديث عن أوطانهم، ومن تجليات ذلك ما أورده ابن قنفذ القسنطيني (810هـ/1407م) عندما صرح بوفاة «الكثير من الفقهاء» ثم اكتفى بعد ذلك بذكر فقيهين، وينطبق الأمر على نص ابن الشماع (861هـ/1456م) بقوله: «ومات جماعة من العلماء والصلحاء...» (ص.354) في تونس، وبالتالي فإن هذه الالتفاتات من المصادر تؤكد اهتمامها بتسجيل أسماء الفئات المثقفة، وهو ما يجعل من الباحث يجزم يقينا بأن التأليف خلال الفترة المتأخرة من العصر الوسيط اختص بأخبار الفئات المثقفة والشخصيات السياسية والصلحاء حتى في أوقات الأزمات (مزدور، 2009، ص.242) بيد أنها تُظهر من جهة مقابلة الفئات الأكثر تضررا من الجائحة الوبائية في منتصف القرن الثامن/الثالث عشر الميلادي، والمتفحص لقائمة العلماء والأعيان يلحظ أن الطاعون الأسود بطابعه المرعب (بن تومية، 2019، ص.169) خلف مشهدا كارثيا على الجوانب الثقافية بموت النخب العاملة في المغرب الإسلامي .

6.. الطاعون الأسود سببا في انهك الاقتصاد المغربي :

انعكست الآثار الديموغرافية الخطيرة التي خلفتها كارثة الطاعون الأسود على مقومات الاقتصاد المغربي، فضحايا الجائحة الوبائية يمثلون القاعدة البشرية الأولى للإنتاج سواء في

الميدان الزراعي أو في مجال الحرف والصناعات أو في الحركة التجارية، وقد شهد الواقع الاقتصادي للمغرب الإسلامي تراجعاً كبيراً زمن اجتياح الطاعون الأسود للمنطقة في منتصف المائة الثامنة للهجرة، حيث كانت آثاره وخيمة أكثر على الفئات الهشة التي ينتمي إليها المزارعون والصُّنَّاع وصغار الثَّجَّار، وسبب ذلك هو الخطورة الفادحة لموجة الطاعون من جهة، والوضع الصحي والغذائي لهذه الفئات الاجتماعية من جهة أخرى.

فأمّا بالنسبة للميدان الزراعي يشير الباحث محمد بنميرة إلى ما تخلفه الأوبئة من تصدعات ديموغرافية، التي عادة ما تسهم في إحداث تحولات عميقة على ملكية الأرض، لاسيما منها الأرض الجماعية (بنميرة، 2012، ص.206)، وهو الأمر الذي حدث عندما ضرب الطاعون الأسود بلاد المغرب الإسلامي، ففي نازلة فقهية سئل أبو الفضل العقباني عن «...أرض فنى أهلها بالبواء الكائن عام تسعة وأربعين وسبعمائة...» (المازوني، 2009، ص.15)، ولئن دلّت النازلة على الفناء والانحدار السكاني الخطير الذي أصاب المجالات الجغرافية المغربية، فإنّ ما يلاحظ كذلك هو توقف الأنشطة الزراعية في فترة الطاعون الأسود بسبب هجرة الفلاحين فراراً من البواء أو فنائهم به، ولذلك سئل أبو العباس القباب عن: «... حكم الناس في زمن البواء إذا كثرت الموت هل حكمهم فيه حكم الحجر، حكمهم في غيره من حيث التصرف في المال...»، وهي نازلة طرحت في منتصف القرن الثامن الهجري، لاشك أنها تتحدث عن البواء الجارف الذي عرفه المغرب مع باقي بلدان المتوسطي (بنميرة، 2012، ص. 206)

كما أشار المقريزي (ت854هـ/1450م) (1997) إلى خراب النظام الرعوي في بلاد المغرب الأدنى وتدهور الوضع الزراعي بها بعد أن «...عمّ الموتان أرض إفريقية بأسرها، جبالها وصحاريها ومدنها، وجافت من الموتى وبقيت أموال العربان سائبة لا تجد من يرعاها...وشمل البواء أيضا أرض برقة...» (ص.84)، يظهر جلياً من النص حجم التأثير الذي أفرزته الجائحة الطاعونية على الاقتصاد المغربي القائم على النظام الرعوي والنشاط الزراعي، وقد انعكس تأثيرها على المستوى الفلاحي بتقلص الأراضي المزروعة التي تراجعت بسبب نقص المزارعين واليد العاملة (بن تومية، 2019، ص.169) الأمر الذي أفضى إلى نقص الانتاج وارتفاع الأسعار، حيث اشتدّ الغلاء سنة 749هـ/1378م حتى بلغ قفيز القمح ثمانية دنانير، ومن تلك الفترة أصبحت بلاد المغرب تُعاني من نقص الفلاحين والمزارعين، وأهملت العديد من الغروس والأراضي الزراعية (الرصاص، 2007، ص.65)

نفس التراجع عرفته الأنشطة الحرفية، فالهدر الديموغرافي الذي أصاب المجموعات السكانية لم يستثن فئات الحرفيين والصناع، حيث هلك منهم عدد كبير وانحسرت المهن والصنائع داخل المدن (الرصاع، 2007، ص.65)، ولعل من تجليات ذلك ما قدمه ابن خلدون (2000) في قوله: «...وانتقض عمران الأرض بانتقاض البشر فخربت الأمصار والمصانع...» (ص.42)، حسب هذه الرواية أفضت كارثة الطاعون الأسود إلى تخريب المصانع التي كانت موجودة ببلاد المغرب، فمدينة فاس لوحدها كانت تضم على عهد السلطان الموحي المنصور وابنه محمد الناصر ما يناهز 472 رحى للماء، و649 فندقا، و9280 حانوتا و47 دار لصناعة الصابون، و86 دارا للديبغ، و1170 فرنا للخبز 400 حجرا لصنع الكاغد، و888 دارا للفخار تقع خارج المدينة، وانطلاقا هذه الإحصائيات يمكن تصور حجم اليد العاملة المتضررة من الكارثة الوبائية (بن تومية، 2019، ص.171)، عقب توقف خدماتها وأدوارها الفعالة في الاقتصاد المغربي.

خاتمة:

وفي الأخير كشفت هذه الدراسة عن النتائج التالية:

- البحث في التاريخ الديموغرافي لبلاد المغرب مع ندرة المعطيات الإحصائية، يجعل من مهمة الباحث صعبة للغاية إن لم نسلم باستحالة التوصل فيها إلى نتائج حقيقية وبقينية، وبخاصة دراسة آثار الكوارث الطبيعية والجوائح على الوضع السكاني، والتي يندرج ضمنها موضوع الآثار الديموغرافية التي خلفها الطاعون الأسود في منتصف القرن الثامن الهجري /14م على مجتمعات المغرب، خصوصا أمام الرؤى الانطباعية والوصفية التي طبعت النصوص المصدرية بتعدد الحقول المعرفية التي تنتمي إليها.
- الطاعون الأسود أخطر كارثة عصفت بعالم العصر الوسيط عموما وبلاد المغرب على وجه الخصوص، ومن تجليات خطورته ذلك الانحدار الديموغرافي الذي عرفته البوادي والأرياف والمدن، من خلال القضاء على الأفراد والعائلات والمجموعات القبلية بالمجالات المغربية دون فروق طبقية أو جغرافية، بل وأفضى إلى تحولات سكانية عميقة عانى منها المغرب على مدى النصف الثاني للمائة الثامنة والقرن الذي يليها، كما أسهم في تزعزع استقرار الدول وتبدل أحوالها.

- برزت التداعيات الاقتصادية لموجة لطاعون الأسود ببلاد المغرب في ثلاث مجالات رئيسية، أولا في ميدان الفلاحة من خلال تآكل الأراضي المزروعة وقلة الانتاج الفلاحي، وثانيا التأثير على مجال الصناعة الحرفية، بإغلاق المؤسسات الصناعية والمحلات والأسواق، وثالثا انكماش التجارة بتوقف حركة السلع والبضائع وتردد السفن المتوسطية على السواحل المغربية .
- تعرض الملمح الثقافي زمن اجتياح الطاعون الأسود للمغرب إلى التراجع ودخل دائرة الاضطراب والتردي بعد أن هلك الكثير من العلماء والفقهاء وطلبة العلم بسببه، وأغلقت المؤسسات التعليمية لاسيما بالمدن وانقطع تردد الطلبة عليها خوفا من الإصابة بالطاعون والهلاك به أو المساهمة في نشره عن طريق العدوى.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم جدلة، (2010). المجتمع الحضري بإفريقية في العهد الحفصي، منشورات وحدة البحث، جامعة قفصة، تونس.
2. بلعربي خالد، (2009). المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني، مجلة كان التاريخية، ع4، ص. ص. 19-29.
3. بنميرة عمر، (2012). النوازل والمجتمع مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط، ط1، مطبعة الأمنية، الرباط.
4. بوعانة رياض، الأمراض الوبائية فيروسات لا تفرق بين الصالح والطارح.
5. بوجرة حسين، (2011). الطاعون و بدع الطاعون الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير (1350 – 1800م)، ط1، مركز دراسات الوحدة المغربية، بيروت.
6. ابن بطوطة، (1996). تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأمصار، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط.
7. بيغلهورل، ر. أساسيات علم الوبائيات، أكاديميكا أنترناشيونال، بيروت.
8. ابن تغردى بردي يوسف، (د.ت). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر .
9. ابن تومية فاطمة الزهراء، (2019). صورة الطاعون الأسود عند المغاربة في العصر الوسيط، مقال ضمن كتاب: الأزمة والهشاشة مقاربات متقاطعة، مطابع الرباط. الرباط.
10. ابن خاتمة المري، (2013). تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، رسالة ضمن كتاب: ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف (749هـ/1348م)، تح: محمد حسن، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس .
11. ابن خلدون عبد الرحمن، (2004). رحلة ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي، تح: محمد بن تاويت الطنجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت .
12. ابن خلدون محمد، حفظ الصحة، (1988). ضمن كتاب: الطبُّ والأطباء في الأندلس، دار الغرب الإسلامي، بيروت .
13. ابن الجزائر أحمد بن إبراهيم، (2009). كتاب في طب المشائخ وحفظ صحتهم، تح: فاروق العسلي والراضي الجازي، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس.
14. حسن الوزان، (1983). وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
15. ابن حنبل، (2001). مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج 32، تح: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة. السعودية.
16. ابن الخطيب لسان الدين، (2003). الإحاطة في أخبار غرناطة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
17. ابن الخطيب لسان الدين، مقنعة السائل عن المرض الهائل.
18. ابن زهر عبد الملك، (1983) التيسير في مداواة والتدبير، تح: ميشيل الخوري، ط1، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دمشق .
19. ابن سينا أبو الحسين علي، القانون في الطب، تح: محمد أمين الضناوي.
20. ابن الشماخ، (1984). الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس.

21. ابن مرزوق محمد، (1981). المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن، تح: ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية الجزائرية، الجزائر.
22. ابن مرزوق محمد، (2008). المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزاهري، مطبعة النجاح، المملكة المغربية.
23. ابن هيدور علي أبو الحسن، مقالة في الأمراض الوبائية الكائنة عن فساد الهواء والأغذية، مكتبة آل سعود، الدار البيضاء.
24. ابن منظور، (2008). لسان العرب، ط6، دار صادر، بيروت.
25. التنيكتي أحمد بابا، (1989). نيل الابتهاج بتطيرين الديباج، تق: عبد الحميد عبد المرام، ط 1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا.
26. الجابري محمد عابد، (1994). فكر ابن خلدون العصبية و الدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، ط 6، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
27. الجوهري أبو نصر اسماعيل، (1987). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط 4، دار العلم للملايين، بيروت.
28. الجوهري محمد، (2007). مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، دن، القاهرة .
29. الدقوقي غنوة خليل، (2007). أمراض الحروب، ط1، دار المعرفة، بيروت.
30. الزمخشري أبو القاسم محمود، (1998). أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت .
31. رحو حياة، (2012). الهدر الديموغرافي في المغرب خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16-17م)، ط1، مكتبة الطالب، وجدة.
32. الرصاع محمد بن قاسم، (2007). الأجوبة التونسية عن المسائل الغرناطية، تح: محمد حسن، ط 1 دار المدار الإسلامي، بيروت .
33. عروة أحمد، الوقاية و حفظ الصحة عند ابن سينا، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.
34. العسقلاني ابن حجر، (1990) بذل الماعون في فضل الطاعون، تح: أحمد عصام عبد القادر، ط 1، دار العاصمة، السعودية.
35. فاليريون دومينيك، (2014). بجاية ميناء مغاربي، تر: علاوة عمارة، ط1، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر.
36. الفيروز آبادي مجد الدين، (2005). القاموس المحيط، تح: نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت .
37. الفزوني أحمد بن زكرياء، (1979). معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت.
38. الكاديكي عثمان، (د.ت). الأمراض المعدية، بنغازي .
39. واتس شلدون، (2010). الأوبئة و التاريخ المرض والقوة الامبريالية، تر: أحمد محمود عبد الوهاب، ط 1، المركز القومي للترجمة، مصر.
40. المازوني زكريا يحيى، (2009). الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تح: مختار حساني، دار الكتاب العربي للنشر، الجزائر.
41. المقرئ تقي الدين أحمد، (1997). السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
42. مفتاح خلفات، (2011). قبيلة زاوية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6 - 9 هـ / 12 - 15 م) دار الأمل، تيزي وزو.
43. مزدور سمية، (2009). المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927 هـ/1192-1520م). [رسالة ماجستير غير منشورة]. قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.
44. المنتفع محمد، (2019). التقلبات المناخية والموجات الوبائية المشتركة بين المغرب والمجال المتوسطي خلال القرنين 16 و17م، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، الجزائر، م 2، العدد7، ص ص. 123-136.
45. الونشريسي أبو العباس أحمد، (د.ت). الوقيات، تح: محمد بن يوسف القاضي، شركة نوايغ الفكر، مصر .
46. موسوعة الأمراض الوبائية والجوانح حقائق وأكثر، تر: زينب ناصر الدين، ط 1، دار الشمال ، طرابلس، لبنان.
47. Hulot. J. S., Médecine interne, éd 3, ellipses, Paris, 2011.